لمن ، ولماذا تكتب ؟

(بيد)

جواب الاستاذ علي ادهم (مصر) *

لا أعرف على وجه التحديد لمن أكتب ، ولست من أصحاب الدعوات أو الرسالات ولا من الذين يغالون في التعصب لآرائهم ومذاهبهم ويعملون على إشاعتها وترويجها بشتى الطرق ، ولا ادري كذلك لماذا أكتب والكتابة في حالات كثيرة لا تدر مالاً ولا تكسب جاهاً ولا تبني مجداً ، وقد كنت وما أزال عاكفاً على القراءة والاطلاع ، وأحسبني لو رزقت أعمار النسور ولم تخذلني الصحة أو تفرض علي الحياة شواغلها ؛ لقضيت العمر باحثاً منقباً ودارساً مستطلعاً لمختلف الافكار والآراء والمذاهب والنظريات والحضارات والثقافات ، وقد يكون سبب هذا الولع بالقراءة والاطلاع الرغبة العميقة في تفهم معضلات الحياة ومشكلات الانسانية، هذا إذا أحسنت بنفسي الظن. وقد يكون سبب ذلك التماس المهرب من مواجهة الحياة أو نقص الحيوية والقصور في الناحيه العملية كما يرى بعض علماء النفس . والكتابة عندي ليست ما يسمونه فيض الخاطر وعفو اليديهة وإنما هي ثمرة القراءة والبحث والاستقصاء وتقليب الامور على وجوهها المختلفة . ويخيل لي أني أجد في الكتابة لوناً من الوان الخلاص والتنفيس بعد ادمان القراءة واطالة التفكير فيما اقرأ وامتزاجه بتجاربي ومشاعري واحاسيسي . ومن مذهبي تحري السهولة والوضوح حتى لا أشق على من ساقه الحظ – الحسن أو السيء فلست أدري – إلى ان يقرأ شيئاً مما اكتب .

جواب الاستاذ محي الدين اسماعيل (العراق)

أظن أن معظم النظريات التي عالجت مشكلات الأدب ، كانت ضروباً مختلفة للجواب على هذا السؤال . إذ نشأت عن هذا السؤال ، أسرتان كبريان من النظريات الادبية هما : الاسرة التي تؤمن باعتباطية الأدب ، حيث اللقانة ، والالهام المزعوم ، وابراج الذات المسحورة المانعة بالسحاب. والأسرة التي تؤمن بأن الأدب – كأي نشاط إنساني آخر – ، مرتبط ارتباطاً عضوياً حياً بحضارة الانسان ومصيره ... تؤمن بانسانية الادب . وفي حدود النظرة الشاملة ، نرى أن النظريات التي تحاول ربط الأدب ربطاً حياً بالحضارة والمصير الانساني ، تتضمن موقفاً أخلاقياً ، تفتقده الأخرى ، هو الذي يسبغ عليها صفة الانسانية ، ويخصب أدبياتها بنسغ الحياة . والأديب الحق ، هو الذي يقف هذا الموقف الاخلاقي الحاسم من انسانيته ، بأن **يكتب للانسان من حيث هو إنسان ، ومن ثم ، يكتب ليقر إنسانيته ، إذ هو جزء حي يساهم في توجيه ذلك المصير .**

جواب الاستاذ سعيد تقي الدين (لبنان)

الآن أفهم لماذا كان الجنود اليابانيون يبادرون بالصفع كل سجين أو متهم يبطىء بالجواب . ذلك لان البطء يعني الكذب، فالحقيقة هي ابداً جاهزة ،والكذبة تحتاج الى اعداد . الا الذين يتمهنون الكذب .

في يقيني انه لو فرض على الادباء جواب فوري لكان « لا ادري » .

وهذه الاسفتاآت الادبية هي مؤذية حقاً . فهي تخلق الوجاهة في الأدب بدلاً من استثارتها الخلق والانتاج . لو اني نصبت ديكتاتوراً ادبياً لمنعت البحث في الأدب – واخصه النقد ، خصوصاً بعد ان تلوث هذا بالغرض .

ولكنه سؤال طرح ، وجواب فرض . فلنتوخ الصدق لانه اجمل ما في الحياة واجمل ما في الادب .

في صغري كنت معجباً بعمي الشاعر امين تقي الدين . وكنت اراه يخلو الى غرفة وتأتيه اباريق القهوة ويكتب شيئاً نراه بعد ايام مطبوعاً في جريدة ، والناس يقرأونه . كنت استمع منه الى النوادر عن شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران وحوادثهم في مصر حيث اصدر امين تقي الدين وانطون الجميل مجلة « الزهور » . البطولة هي الإدب . كذا فهمتها في صغري فانا اليوم كاتب وانا اليوم سكير قهوة.

وفي الجامعة الاميركية كتبت مقالا في « مضار المسكرات » طمعاً بجائزة فزت بها – ثلاث ليرات مصرية . وكتبت « لولا المحامي » بعد ان فشلت في نيل الدور الرئيسي في تمثيلية« الفارس الاسود » . واتبعتها برواية « قضي الامر » التي كانت الكأس الثانية في نشوة الظفر ، وفي مغتربي لمعت بذهني حوادث واشخاص تصلح ان تكون قصصاً فارسلتها الى اخي خليل كي يصوغها . لاني كنت على همة ان ادفن نفسي. فاجابني خليل باستخفاف: كتبت تلك القصص « الثلج الاسود » نكاية به ، وثورة لكرامتي . وكنت اخشى ان لا تكون قصصاً ناجحة فعززتها بتمثيلية « نخب العدو » ، وبعد الحرب ، وقد مسحت عناكب الخمول عن باب الكهف الذي سكنته ، فخرجت لاتشمس في وهج الشهرة ، أعدت الكرة في « حفنة ريح » وقصصها. ويوماً جاءني طالب عمل فاردت ان اهبه مالاً فدار بوجهه ودمعت عيناه ، واذ دار بوجهه رأيت ذلك الوجه في زجاج النافذة الذي عكسه – فكانت تمثيلية « المنبوذ ! »

وحين أقبل اغراب يشرحون العقيدة السورية القومية الاجتماعية ، ويشددون على اهمية ممارسة النظام في صفوفها سألت ، قبل ان انتظم ، ان كان النظام سيملي كتاباتي أو يحبسها او يلونها . فكان الجواب ان العقيدة توحي ولا تملي فان هي فعلت في النفس تفجر القلم ، وليس في الحركة السورية القومية الاجتماعية الا العقل يشد الى مرساة العلم والايمان . فانا اليوم اكتب بوحي جهاد هذا الحزب ، وانتصاراته وانكساراته واسجل بطولاته .

لماذا اكتب ، لمن اكتب ، قد يلح علي صديق صحفي . أو تهيب بي حادثة . اللهمة لا اعرف كيف تأتي . اما التدوين فهو جهد جسدي اتجنبه وارغم نفسي عليه .

بعد كل هذا قل لي لمن اكتب ولماذا اكتب فانا نفسي لا ادري .

الآداب تستفتي

* تلفت النظر مرة اخرى الى اننا نصطنع في ترتيب الاجوبة التسلسل الهجائي (الآداب)

جواب الاستاذ نهاد التكرلي (العراق)

افضل ان ابدأ بالجواب على الشق الثاني من السؤال (لماذا تكتب ؟) : اني اكتب لان هنـــالك شيئاً ذا قيمة في نظري اريد ان (اكشفه) للآخرين . وهذا الشيء الذي اكتبه لا احقق بواسطته جانباً من جوانب نفسي واتعرف على هذا الجانب فحسب بل هو يصلني بالناس وينقل اليهم عالمي وافكاري، وقد يحفزهم الى مشاركتي في مشاريعي والاهداف التي اصبو اليها ، ولولا الكتابة لبقي هذا العالم متلفعاً بضباب الامكان ولبقي مجهولاً بالنسبه لي ولهم الى الابد. فهذا العالم حتى بعد ان احققه عن طريق الكتابة يبقى غير معلوم تماماً بالنسبة لي حتى يأخذه (قراء) على عاتقهم ويعيدوا خلقه في شعورهم ، وعندئذ اتعرف بواسطتهم على عالمي الخاص هذا بعد ان انقله اليهم . فانا اكتب لاني اخترت الكتابة وسيلة لتحقيق جانب من جوانب نفسي ولكي أكشف للآخرين عن عالم معنوي ذي قيمة في نظري .

أما جوابي على الشق الاول من السؤال (لمن اكتب ؟) فهو : اني يجب ان اكتب (لجميع البشر) . غير ان هذا المطمح في الواقع بعيد المنال والكاتب مهما فعل لا بد ان يتوجه بكتابته — شـــاء ام ابى — الى طبقة مخصوصة والى اناس دون غيرهم . ولا شك ان للفوارق الطبقية والظـــلم الاجتماعي السائد دخلا كبيراً في هذا الامر . ولكن هذه الحقيقة لا تمنعني من ان اخلص لنفسي ولانسانيتي وان اتوجه بكتابتي منذ الآن الى بشر تحرروا من هذه العبوديات التي تكبلهم الآن . انني اذا كنت اكتب « من اجل » الانسان لا ضده ، فلا بد ان اتوجه بكتابتي الى كل انسان شاعر بانسانيته ومتحرر من قيوده .

جواب الأستاذ عبد الحميد جودة السحار (مصر)

انني لا أدري لماذا أكتب ، وكل ما أدريه أنني أشاهد حادثة أو أقابل شخصاً أو أسمع واقعة . فـــاذا بجرثومة فكرة تولد في رأسي ، وإذا بالافكار تتراكم حول هذه الجرثومة كالابخرة،وإذا بالفكرة تنمو وتأخذ في إقلاقي وتستولي على كل تفكيري ومشاعري ، ولا أستطيع أن أستريح قبل أن أتخلص منها ، فأهرع إلى الورق لأسطرها وما إن أرد إلى طبعي حتى تولد في رأسي فكرة جديدة تقلقني وتستبد بي حتى أضعها عـــلى القرطاس وهكذا .

وقد فكرت أكثر من مرة في أن أهجر الكتابة ولكنني أخفقت ،فقد كانت الافكار تنثال على رأسي وتضنيني حتى أكتبهـــا ، وقد عرفت أنني كالفراشة لا بد لها ان تفرز سواء أرضيت أم لم ترض ،وسواء افكرت في ذلك الإفراز أم لم تفكر .

أما لمن أكتب فانني لم أفكر قط في القارىء أثناء كتابتي ، أنني أكتب لنفسي أولاً وأخيراً ، فاذا وجدت ما أكتب تجاوباً مع القراء ، أسعدني ذلك ، وإذا لم يحظ باعجاب القراء ، فما كان ذلك ليسوءني كثيراً . كل ما في الأمر أنني أرضيت نفسي بتخلصي من الأفكار التي تستولي علي وتستبدبي، وكثيراً ما تؤرقني وتسلب النوم من عيني .

ولإني لأفرق بيني وبين ذلك المجنون الذي يتلبسني أثناء الكتابة،وأعتبر أننا شخصان مختلفان ، فلا أضيق بنقد ، لأنني أعتبر أن النقد ليس موجهاً لشخصي ، بل لذلك المجنون الذي أمضى لياليه في الكتابة، وحرم نفسه من متع الحياة ، ولا يسرني التقريظ كثيراً ، فهو ليس موجهاً إلي ، بـــل إلى ذلك الذي يحرمني من لذائذ الحياة ليرضي غروره .

جواب الاستاذ شاكر حسن سعيد (العراق)

ثمة رموز او علامات (*) . على انها عالم كامل في الوقت نفسه ، يلجه القارىء كما يلج المسافر باخرة ستقلع به من ساحل قارة الى ساحل قارة اخرى نائية . وهي كاوراق اللعب ،تظل امام المقامر مادة للفوز ، ولكنها بين يدي تلميذ المدرسة الصبي جدران البيت الاسطوري . ومرة تساءل احد الاطفال : لماذا يتقابل نصفا رجلين على الورقة ..؟ وتساءل مراهق : ولماذا تتناثر القلوب وتزدحم على بياض الورق ؟

وسيظل التساؤل نفسه ازاء فن الكتابة ، ومن عدة وجهات نظر . بيد ان هذه اللعبة الشائعة ما اشد امتناعها ونموها معاً .؟ فهي مادة للتفـــاهم ، ووسيلة للوجود ، وهي كذلك الاشارة السعيدة لفوز مقتني بطاقة اليانصيب، والازميل الذي سينحت في مخيلة الطالب الابتدائي (ذكريات) دروس الاملاء ، وصوت كلمة (زيز) وملامح الدب (كحيلان) و(المركب) الذي ذهب به النهر ولم يعد . وهي اخيراً هذه اللوعة ، وتلك الدهشة التي تعقد لسان الرجل الامي امام ابنه قارىء الصحيفة المحلية .

ولكن ثمة علامات ايضاً يتعود الانسان على فهمها هي التي كانت ستحرم في مناسبة كئيبة عدة اجيال من وعي عالم متطور . هي ايضاً (الحكم بالاعدام) او (السجن المؤبد) . وهي التي اضحت آخر الامر — كما يجب ان يقال — المداد الاحمر لدجلة التي ملأها (هولاكو) باكداس الكتب الممزقة . على انها في الظروف الطبيعية قوام ثقافة الانســـان . والثروة الوحيدة المتزايدة — دونما تتائج وخيمة — من اجل حرية كائن بشري وسعادته .

وهكذا: فاذا كنت سأجد من اكتب له او اعلل كتابتي، فلأني سانتشل نفسي ردحاً من الزمن من مهاوي السجن الفكري الذي اعيشه موضوعياً. فان انساناً نامياً وحراً هو الذي اخاطبه . وسينتصب امامي حينئذ ذلك الحشد المجاهد في وعي هذه الرموز او العلامات الزرق المتقطعة .

○

واذا كنت — انا الكاتب — اكتب فحسب ، فليس من معنى ولا نمو لهذه « المادة » ابداً . الؤلف لنفسي .: ولكن هناك من يقرأ . وليس هناك من كتابة لا تقرأ . وان كانت هناك كتابة لا جدوى منها . واذا كنت اكتب للآخرين ، فمن هم اولئك الاخرون ؟ ألست انا احدهم ، حينما اقرأ ما اكتبه ؟ ولكن . اكانت كتابتي لتكمن في « اغلال » حروفها .؟ فما اقرأه لا يمكن ان ينمو ابداً ما دمت انا الذي انجزته . اما ما يقرأه الاخرون فهو الذي سينمو حتماً ، ، اذ مهما حـــاول الكاتب ان يحدد « معانيه » — هذه البذور اليانعة — فان ثقافة القارىء هي الحقل الذي سوف تنمو فيه اراؤه ، اي الكاتب— . هي الحياة الجديدة التي يسبغها انسان حر على أثر أنجزه من اجله انسان حر آخر .

إن كل هذا لا يرفض فن الكتابة كتعبير يمكن قراءته وكوسيلة لغاية معينة ، الا انه يوسع من قابليتها ويجردها الى الحد الذي لا يقصرها على وظيفتها الاساسية — كمعاملة بين كاتب واحد وقارىء واحد هو القـــاريء النموذجي . فهي هنا اشبه شيء برائحة الورد . في موسم الربيع يقطر سكان بعقوبة « ماء الورد » ويخزنونه في قناني خضراء حتى الموسم المقبل .ولكن، اليست وظيفة رائحة الورد وظيفة بايولوجية وحسب ؟ وذلك لكونها عاملا مساعداً في عملية التلقيح . بيد ان هذا لا يمنع ولا يعقم كل امكانيات هذه الرائحة التالية . وعلى نفس المستوى سنحكم على فن الكتـــابة . فمع ان الكاتب يكتب للآخرين الا انه مع ذلك يكتب لآخرين لا حصر لهم ولا عد . وهم ما بين ذكي وغبي ومثقف ونصف مثقف. وهم ايضاً ما بين كائن حر يدرك نفسه وآخر ملك تقاليده .

نحن نكتب للقارىء الذي يقرأ كتاباتنا ويعيشها كما نعيشهـــا نحن بالذات — وهذا هو القارىء النموذجي — . اي الذي نناشده . ولكننا تكتب كذلك وبصورة واقعية لقارىء آخر سيعيش كتابتنا كما يشاء هو لا كما نعيشها نحن او نريد . الا نناشد هذا ايضاً ..؟ وهنا تترتب مسؤولية الكاتب الحقة . اذ عليه ان يضع في حسابه كل نتائج كـــتاباته للآخرين

(*) نقطة الانطلاق في هذا الرأي وجهة نظر الفيلسوف الوجودي (جان بول سارتر) عن الادب الملتزم .

ويتحملها . عليه ان يعلم جيداً انه يكتب للانسانية جمعاء .

وهكذا يتبلور في النهاية الجواب على الشطر الاول من السؤال وهو « لمن نكتب » . فنحن « اولاً » نكتب للاخرين وليس للقارىء النموذجي فحسب. ونحن « ثانياً » نتحمل مسؤولية ما في الكتابة فما دامت لكتاباتنا نتائج فنحن اسبابها او على الاقل « مؤثراتها » . ولكننا « ثالثاً » لا مفر لنا من ان ندرك ان الوظيفة الاولى للكتابة هي التفاهم بين الناس ، بين كاتب وقارىء : « انا اكتب لتقرأ كتابتي . ولكن هذه القراءة بدورها عالم جديد يعيشه القارىء الحر . » انكتب اذن لنقول ما نريد . اي لنعبر عن ذواتنا ، ام نحسب اننا نخاطب « الانسان » بكل قواه ؟ وهذا ما سيكون مادة جوابي على الشطر الثاني من السؤال « لماذا نكتب ؟ »

اجل ..؟ اهناك من « دافع » أو « هدف » .؟ وعندي ان التساؤل هذا لا يجدي . فالكتابة فعل انساني . وسواء اكنا مدفوعين لها – ولا بد من وجود مؤثر – ام كنا مستهدفين خلالها هدفاً – ولا بد من وجود هدف ما – فالمهم اننا نكتب وعلينا ان نتقن هذه الكتابة ونمارسها بكل حرية اي ان نحقق وجودنا اثناءها لأن ذلك من شأنه ان يحيطنا بالمؤثر كما يوصلنا الى « الهدف » . ونحن لكي نتماسك هكذا حتى النهاية فعلينا ان نعيش قضية الانسان . وهذا هو صميم الجواب عن السؤال « لماذا نكتب » . فالواقع اننا نكتب لنحيا وجودنا باوسع ما نستطيع . كما ان القارىء بدوره عليه ان يحيا وجوده الانساني باوسع ما يستطيع . وانا اشير هنا الى القارىء لأن القراءة كفعل هي كالكتابة سواء بسواء مكتناهما مجال لمواقف ايجابية من قبل الانسان .

الا انه لا يعرف الكتابة (والقراءة ضمناً) مجرد التزام مسؤولية ما ندعو له بل وتمرسنا بطبيعة ما نلتزم ايضاً . فمن الخطأ مثلا اعتباري لنفسي حراً – وانا السجين – لمجرد تفكيري بالحرية . بل ان هذا التفكير هو بدء حريتي وليس خاتمتها . وهذا ما يمكن تطبيقه على فن الكتابة. فما معنى اذن التزامي اذا انا لم اخضع هذه الرموز الازلية لأصابعي ؟ وبمعنى آخر ان على الكاتب ان يمارس كل قابليات فن الكتابة او بعضها بالنسبة لطبيعة الموضوع الذي يدبجه ، تماماً كما سيمارسها القارىء – فلا يناشد بواسطتها العقل وحده بل الاحاسيس والعواطف وحتى اللاشعور . وذلك لأنني اذا كنت اعبر عن ذاتي خلال ما اكتب ، فلا مشاحة من تعبيري عن ذلك بواسطة كياني برمته فاتناول الموضوع من خلال كل ما يتسنى لي ان اتناوله . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان القارىء الذي سيقرأني ، سينتظرني . الا يعيش هو الآخر كيانه برمته ؟ الا يجدر به هو الآخران يقرأ لا بعقله فحسب بل بعواطفه واحاسيسه وحتى لا شعوره ؟ ومع ذلك فان طبيعة الموضوع نفسه تملي الى حد كبير – سواء على الكاتب اوالقارىء زوايا « التعامل » هذه . وفيما اذا انجز مهمته بكل حرية ، وهكذا . فنحن اذن نكتب لكي نعبر . وهذا التعبير بالذات هو الذي سيقودنا الى اهدافنا ومقاصدنا. فاذا ادركنا – ولا بد لنا من ذلك – اننا نكتب من اجل الآخرين ، فلا شك اننا سنلزم الآخرين خلالنا . بل هم الذين سوف يلزمون انفسهم خلال كتاباتنا . ولكن كما تلوح اللوحة الزيتية الحديثة لغزاً حتى امام الرجل الذي يناهز الثلاثين ، لأن عمى لونياً او قصوراً ثقافياً يضيق امكانياته على الاستيعاب، فكذلك حال فن الكتابة امام القارىء . قد يستعصي وعيها على كثيرين ومع هذا فان « اللغز » الذي سيدار حوله لكيما يحل سيظل مؤثراً في ادراك الانسان لغيره باي شكل من الاشكال .

كنت الاحظ مرة كائناً وديعاً يتعلم القراءة . وكان يتهجى بصوت مسموع حروف الكلمات ويستعيد قراءتها . وكانت الجمل المتقطعة التي يؤلفها تكاد تؤخر سير الزمن . ففي جو من التراخي والترف كانت الحاجة الملحة لامتلاك وسيلة جديدة للتفاهم تلوح متثاقلة متحفظة بين شفتي انسان . وبين لحظة واخرى يصبح حله لرموز تلك الطلاسم السود المطبوعة سبباً لاطلاق ضحكة ظفر او ابتسامة فوز . فهل كان فن الكتابة ليتوقع مثل هذا القارىء « المنتصر » .؟ لقد افاحت عطور اشجار الورد في تطييب الانسان فهل تفلح الكتابة في ايجاده .؟ اجل ولم لا .

جواب الاستاذ ابراهيم العريّض (البحرين)

لو قال قائل جواباً على سؤالكم : انني انما اكتب لنفسي ! لأنكر هذا الجواب عليه – بدون علم – اكثر الناس . ولكن الواقع الذي لا محيص منه هو ان الانسان لا يكتب فيما يكتب الا تنفيساً عن نفسه القاقة ولنفسه قبل كل احد . ولا اعني بهذا أنه يعتبر نفسه في كل ما يكتب منقطع الاسباب بما حوله ومن حوله فطبيعة الحياة تأبى عليه ذلك. وانما « الكتابة » في مرد امرها الى حقيقتها الاولى من تعبيري اذ يستعين الانسان باللغة كأداة للتعبير عن عواطفه مرة وعن افكاره اخرى . ففي الحالة الاولى لا بد من التسليم بأنه يشعر بعواطفه تلك قبل محاولة التعبير عنها . والا لعادت كل محاولة عبثاً في عبث . واذن فهذه المحاولة لا يمكن ان تتأتى الا – فيما بعد – لحافز نفسي داخلي لا سلطان – فيما اعلم – للكاتب عليه . وكل ما نعلم انه يختلف باختلاف الافراد . وقولنا ان هذه العواطف تتعلق بحوادث او اشخاص شيء وتسجيل هذه العواطف عن طريقة فن الادب خاصة ... او غيره من الفنون الجميلة بصورة عامة ... شيء آخر . اما في الحالة الثانية فبالعكس لا بد من التسليم بأنه لا يستطيع الكاتب ان يشعر بأفكاره تلك على وضوح قبل وضعها في قوالبها اللغوية وتنسيقها هذا التنسيق الذي يربط على هدى المنطق النتائج بالاسباب ويقوم البحث بما يقتضيه من مقدمات . فلو لم يفعل الكاتب ذلك لما استوضح الفكرة لنفسه بله ان يقنع بها الآخرين

فالحافز النفسي اذا كان في الحالة الثانية هو استيضاح الفكرة واستخلاصها فهو في الحالة الاولى انتزاع العاطفة من ظروفها المقيدة زماناً ومكاناً في حياة صاحبها ووضعها تحت مجهر الفن بجمرتها الملتهبة لكي يستمر وهجها متقداً خارج تلك الظروف في حياة الآخرين . ولذلك فالعامل الوحيد – امام النقد – لتقدير كتابة كاتب هو مدى نجاحها في تحقيق ما تحققه من هذا الهدف الذي هو في الحقيقة انما يعني صاحبها بالذات قبل ان يعني سائر الناس

انا اكتب لأني احاول تمديد حياتي في حياة الآخرين ... لا مجرد استيعاب حياة هؤلاء ضمن نطاق حياتي المحدودة .

جواب الانسة روز غريب (لبنان)

كتبت تلبية لطلب وسداً لحاجة . وكتبت رغبة في التنفيس او ايجاد مصرف لافكاري وعواطفي . واحياناً سعيت وراء لذة الخلق ومتعة التفكير

ولم اقصد في كتابتي طبقة معينة من الناس بل اعتمدت الوضوح الذي يرضي العامة والخاصة ، اذ غابت على كتابتي الصبغة العلمية ، ولم يتسح لي ان امارس التعبير الايحائي المعقد الا في احوال قليلة .

اقول هذا مع العلم بان كتابتي كانت مجرد هواية انفق فيها بعض اوقات الفراغ . والاديب في رأيي من ينصرف الى الكتابة منذ نعومة اظفاره وتتوفر له الموهبة والظروف المؤاتية ، بحيث يستطيع ان ينفق نصف وقت عمله في درس الطبيعة والمجتمع ودراسة الآداب العالمية ؛ والنصف الآخر في التأليف والتحرير .

والاديب العربي احوج الادباء الى هذا الانصراف التام ، لانه بخلاف ادباء الغرب – مضطر الى ان يكون رائداً يشق الطريق ،

سواء في اللغة والعبارة ام في ناحية الفنون الادبية .

وبما ان تلك الشروط لم ولن تتهيأ لي ، اكتفيت بالوقوف عند عتبة الهيكل .

جواب الاستاذ يوسف غصوب (لبنان)

الاصح ، فيما يخصني ، ان يكون السؤال : لماذا لا تكتب ... فقد مضى علي فترة طويلة من الزمن انقطعت فيها عن الكتابة الادبية او عن نشر ما اكتب فيما لو كتبت ، اما ما لهوت به من الكتابة في هذه المدة فلا يمت بصلة الى الادب الا من بعيد ولذلك كان معظمه غفلا . اما الاسباب التي ثبطت من عزيمتي ونشاطي فهي في الاكثر عدم الرضى عن نتاجي فأنا اعيد فيه النظر مراراً متوخياً الاخلاص والجودة حتى يأتي صنيعاً ادبياً او على الاقل قريباً من الصنيع الادبي. ولا بد لي هنا من القول : ان فقدان حرية الرأي والكتابة في لبنان هو من العوامل الاساسية التي تشل الحركة الادبية وتضيق على الاديب مجال نشاطه وتحصر همته في حلقة ليس له ان يتعداها .

لا يخفى على احد ان الاوضاع الاجتماعية والاخلاق وملابسة الناس بعضهم لبعض وما ينجم عنها من تنافر او تقارب او تفاعل نفساني هي من عناصر الادب الحقيقي التي تبنى عليها التآليف ولا سيما الروايات والقصص والمسرحيات، فاذا اراد الاديب اللبناني طرق هذه المشاكل او التعرض لها وجد نفسه تجاهها مقصوص الجناحين لا يستطيع تحليقاً بل ولا طيراناً، اذ لا رأي له في مذهب ولا عقيدة ولا تقليد ولا عادة حتى ولا رأي له في نظرية سياسية الا بقدر ما تسمح له السلطات او الرأي العام او الاحزاب . واذا تجرأ ، ولو بتهيب ، على مس هذه « المقدسات » وان مساً لطيفاً ساخت به الارض او كادت تسوخ به. على ان في معالجة هذه القضايا فائدة للمجتمع اللبناني ومجالا فسيحاً للاديب وحافزاً الى النشاط . اما اذا حرمت عليه فهو يعجز عن تأدية رسالته كاملة شاملة ويظل رازحاً تحت قيود لا يعاني مضضها الادب الحقيقي في كثير من بلدان الحضارة والحرية .

في لبنان مجال واسع للاديب لما اشتمل عليه لبنان من تناقض وتنافس واختلاف في المبادىء والمذاهب والعادات وضروب الثقافة ولما في هذه جميعها من التشابك ولما ضم لبنان بين حدوده من شتى العناصر والعروق ولما يتولد عن تمازجها، وتباينها من قضايا ومشاكل، غير ان هذا الاديب التاعس مقيد لا يستطيع حراكاً حتى ضمن بيئته او ضمن بيئة محدودة من بيئات لبنان المتعددة . ففقدان حرية الفكر والكتابة حجر عثرة في سبيل ازدهار الادب اللبناني وتبوئه المحل الذي يليق به من الادب العالمي الحقيقي .

اما « لمن اكتب » فلم يخطر في بالي ان اكتب لفئة من الناس انما اكتب تلبية لرغبة في النفس .

جواب الاستاذ شاكر مصطفى (سوريا)

ظل هذا السؤال ، منذ وضعتني امامه ، ماثلا في جبيني لا يبرح ، كشبح خطيئة، او نظرة عتب من حبيب ! ترى ، حقاً ، لمن ولماذا اكتب؟

ما سبق أن وقفت ، ولا سبق ان ربطت جماحي ، الى هذا السؤال . كنت اشعر به في غموض دون ان احوله كلمات . وقد بقي ضباباً أبكم في خاطري حتى زحف كلمة على الورق فاذا له من الرعب والقسوة ما لتكشيرة الجماجم ! أكتب أكره أن اقيد نفسي بدرب ؟ أو اضرب من حولي إطاراً يحرمني متعة الانطلاق العفوي ومد اللسان وراء كل حد ؟... قد يكون ذلك فاني أعرف كرهي للدرب المرسوم والمادة القانونية العبوس والقانون الرياضي الذي لا يلهو بعض اللهو ،.. بل والقدر نفسه لمجرد أنه مسطور في اللوح المحفوظ ! ولعلي لهذا السبب شعرت للسؤال بهزة ، « كما انتفض العصفور بله القطر » !

اما وقد شئت ان تكون – برغمي – كاهن اعترافي فسأعترف !

اني أعتقد أولاً ان الكتابة حاجة انسانية صميمة . وانا ، ككل ابناء القبيل المطرود من الجنة مولع بهذه اللعبة المزدوجة التي تسمح للذات بالانطلاق من سجنها ، في الوقت الذي تحمل فيه الكون الاوسع ، بالمقابل اليها ، لعبة التعبير ! فالانسان ثرثار منذ كان . ولعله لهذا أفرغ ذاته ، من القديم القديم ، في الكلمة ؛ يلتقي فيها مع من حوله . وابتكر الحرف المكتوب يثرثر به مع الاجيال التي تأتي بعده ... ولينتحر الزمن ! حتى الصمت الانساني هو نوع من الكلام ايضاً وله معناه ولهذا « لا نقول عن الاخرس انه سكت»!

وما من أحد إلا ولديه ما يقوله . على ان التعبير ، إذا كان امراً عفوياً في الأصل فان الكتابة – ولا سيما الكتابة الفنية – عمل إرادي ما اضناه ! والقلائل الذين يملكون قدرة التعبير الرفيع هم الذين يكتبون فقط . أنت لا تكتب لأنك قررت أن تفعل ولكن لانك تتمكن من ذلك .فالشعور بالحاجة – وهو امر مشاع – لا يكفي ولا بد من توفر القدرة على الانتقال من هذه الحاجة الى الكلمة على الورق !

واذا كان بناء جسر على نهر يعني إعطاء الطبيعة معنى إنسانياً وكان شق درب الى القمة وصوغ لحن من سديم الأصوات وابتكار آلة من الصخر صوراً من السمو الانساني فالكتابة ، بتعبيرها عن الفكر ، في مفهومه الواسع ، هي التي تعطي الانسان كل معناه ؟

وأنا من ناحية ثانية ، أحيا ما أكتب ، أعانيه سواء كان لظى ، أم هناءة حلم ؛ أم ثمرة محرمة ! أفي هذا طيف من تبجح ؟ أرجو أن تنسى ذلك ! فالكتابة عندي قضية .. قضيتي ! وما أكتب هو « أنا » بكل ما قد يكون في من لون ونشوة وسقم ومرارة ... بل ومن تناقض ! واذا كنت قلما ارضى عما أكتب ، فلأني أحاول ما استطعت أن أبقى مخلصاً لنفسي ، الاخلاص العنيف المرعب ! وقد أشتم الكلمة لأنها أعجز من ان تغرف كل ما أريد من أعماقي !

ولا فرق ، بعد ، في ميزاني بين من يحبس قلمه في البرج العاجي ومن يلقمه مرارة الأكواخ وجوع الشارع ! بين من يجتر أوهامه الفردية ومن يجرح لهاته بنداء الخبز والنضال ! إن « الالتزام » الوحيد الذي افهمه هو الاخلاص للنفس ! وإذا كنت اخترت ، لنفسي ، الحرف المناضل ، الحرف الذي يثور ، ويكافح ويمنح ، فلأن هذا طريق إخلاصي . هذه الأيدي المعروقة والوجوه الشاحبة ، في بلادي ، من ذا يستطيع أن يفكر أمامها بشيء آخر ؟!

وأنا ، من ناحية ثالثة ، وإن تمثلت الآخرين ، من خلال التفكير والكلمات ، إنما أكتب لأنقل غير الواضح في نفسي الى الوضوح والنور . لأكتشف ارضي وحدودي ، لأزيل الغموض والضباب في أعماقي . إن الزهرة لا تتجدد أوصافها إلا بعد أن تتفتح ! وهكذا أكتب وأعرف أن الكلمة التي تحررني هي في الوقت نفسه قيدي . والحروف التي تجمع شتاتي هي ، نفسها الصوى والحدود في سديمي. فكل كلمة أيضاً تخم ولكن كل كلمة أيضاً نصر على العدم !!

وقد تغريني ، هذه الوجوه الصامتة ، من حولي ، كالاقنعة ، بالنفوذ الى ما وراءها . وقد يشوقني ان اكتشف نقاط التقائي بها ، لأشعر بالشمول الروحي الواسع ، ولكني اظل مع ذلك مقيداً في حدود ذاتي . ولهذا فاني لست أعلم « لمن » اكتب ؟

اني أتبين هذا الـ « من » بعدان اكتب . العمل نفسه يحدد لي الطريق والغاية . وقد اكتب لكل الناس وليس لأحد . !

وما يهمني هو فقط ان تجد كلمتي روحاً تتجاوب معها لتبدأ... المشكلة! وإنما تبدأ المشكلة حين يمد الصديق يده للصديق ويقول له : سر معي سر معي! انما نحن غريبان ! »